# ألفاظ الضحك والغمز عند المفسرين

Words of laughter and winking among commentators

**أ.م.د .ياسر جادر محمد الزبيدي**

جامعة تكريت- كلية العلوم الاسلامية

ايميل :yaser.jader@tu.edu.iq

## الملخص:

إن هذا البحث يقوم على دراسة الدلالات والألفاظ المتعلقة بالضحك والغمز عند المفسرين، وتكمن أهمية الموضوع بتعلّقها بكتاب الله عزّ وجلّ، فضلا عن أن هذا الموضوع حيوي وحسّاس؛ لأن هذه الأفعال مستمرة بوجود الإنسان، والغاية منه ابتغاء مرضاة الله تعالى .وفي منهجية البحث اعتمدت المنهج الاستقرائي، ثم الوصفي التحليلي في الجمع وتتبع الآيات، والأقوال الواردة عند المفسرين؛ للوصول إلى حكم.

الكلمات المفتاحية: ((ضحك، غمز، تفسير، قرآن)).

## Abstract

This research examines the connotations and terms associated with laughter and winking among commentators. The importance of the topic lies in its connection to the Book of God Almighty. Furthermore, this topic is vital and sensitive, as these actions persist throughout human existence, and their ultimate goal is to seek the pleasure of God Almighty. In the research methodology, I adopted an inductive approach, followed by a descriptive-analytical approach, collecting and tracing verses and statements from commentators to arrive at a conclusion.

Keywords: laughter, winking, interpretation, Quran.

## المقدمة

الحمد لله الذي لا تدركه الأبصار، ولا تبلغه الأفكار، ولا تحجبه الأستار، ولا تخفى عليه الأسرار الذي دار بأمره الفلك الدّوار، واختلف بحكمه الليل والنهار، والصلاة والسلام على سيد الأبرار ومنبع الأنوار سيدنا محمد المصطفى المختار وعلى أهل بيته الطيبين الأطهار وأصحابه الأبرار والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

فلا يزال القرآن بحراً زاخراً بأنواع العلوم والمعارف، يحتاجُ من يرغبُ في الحصول على لآلِئِهِ ودررِهِ أن يغوص في أعماقِهِ.. ولا يزال القرآن يتحدى اساطين البلغاء وجهابذة العلماء، بانه الكتاب المعجز المنزل على النبي الأميّ ﷺ شاهداً بصدقه دليلاً انهُ تنزيل الحكيم العليم ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (١)

إن تفسير القرآن الكريم لم يتوقف عند مرحلة من مراحل التاريخ الإسلامي، ولن يتوقف كذلك ما دام هناك عقل يتفكر، وقلب يتذكر، لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

لقد رأيت أن أستجلي هذا الموضوع من كتاب الله ﷻ وذلك بدراسة لفظ الاستهزاء والألفاظ المشتقة منه، والآيات الكريمة التي ورد بها لفظ الاستهزاء دراسة موضوعية، للتعرف على أسبابه، ودوافعه، وعواقبه، وكذلك شملت الدراسة على نماذج من المستهزئين، وما حّل بهم، سائلاً الله المولى التوفيق والسداد.

- أهمية الموضوع تكمن في: تعلّقه بكتاب الله عزّ وجلّ وشرح بعض آياته، وتعلّقه بألفاظه، تعلّقه بموضوع حيوي حسّاس، هو من أهمّ المواضيع التي تبقى لكل عصر وزمان أما أهداف البحث، ابتغاء مرضاة الله تعالى أهم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث عرض هذا الموضوع عرضاً متكاملاً يغطي الموضوع من جميع جوانبه.
- منهجية البحث اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي، ثم الوصفي التحليلي؛ وهو عملية جمع وتتبع الآيات، والأحاديث، والآثار الواردة، للوصول إلى حكم، ولتحقيق الهدف من الدراسة
- الدراسات السابقة:

١- نواقض الإيمان القولية والعملية، د. عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف، الرياض: مدار الوطن

(١) سورة الشعراء: ١٩٣-١٩٤.

للنشر، ١٤٢٧ هـ، الطبعة: الثالثة أصل هذا الكتاب رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة الدكتوراهه، من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد أجيزت مع مرتبة الشرف الأولى.

٢- أسلوب السخرية في القرآن الكريم، تأليف الدكتور عبد الحليم حفني، دون ذكر الطبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧م.

٣- الاستهزاء بالدين وأهله، للدكتور محمد سعيد القحطاني. الطبعة الثانية، مكتبة السنة، القاهرة، ١٤١٦هـ، وهذا الكتاب ليس تفسيراً موضوعياً، وكذلك فإنه موجز فيما عرضه من المباحث.

٤- أسلوب الاستهزاء في القرآن الكريم، بشار محمد جبر أبو نصير المصاروة، وهي رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة العلوم الإسلامية العالمية، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٠-٢٠١١م، تناولت هذه الدراسة أسلوبا من أساليب الخطاب في القرآن الكريم، وهو أسلوب الاستهزاء وذلك من خلال استقراء الكثير من الآيات القرآنية، ومن ثم تحليلها، حيث يصبح الاستهزاء فناً قائماً بذاته، وأسلوبا من أساليب الخطاب القرآني. وفيها أيضا عرض لأبرز أطراف الاستهزاء في القرآن الكريم؛ الطرف المعادي للإسلام والطرف الآخر هو الاستهزاء الرباني.

## المبحث الأول
## التعريف بالمفاهيم

أولاً: الضحك

ضحك، وضحك به يضحك ضحكاً مثل كَلِم وكَلَم إذا سخر منه أو عجب ؛ فهو ضاحك وضحّاك مبالغة وبه [١].

والضحك يرتبط بالسخرية إذ يقال ضحك إضحكاً إنفرجت شفتاه وبدت أسنانه من السرور ومنه وبه سخر منه[٢] ، وقال الراغب الضحك إنبساط الوجع و تكشر الأسنان من سرور النفس و لظهور الأسنان سميت مقدمات الأسنان الضواحك، و قد استعير الضحك للسخرية. [٣]

(١) ينظر: الزبيدي، حمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، ط١، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤: ٢٥٥

(٢) ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، ت ٨١٦هـ، التعريفات ط١، ١م، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣، ص١٤٢.

(٣) ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح، سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان، دط، ١٤١٢ه،

ثانياً: الغمز

والغمز هو الإشارة بالعين والحاجب والجفن، غمزه يغمزه غمزا. قال الله تعالى: وإذا مروا بهم يتغامزون ومنه الغمز بالناس. قال ابن الأثير: وقد فسر الغمز في بعض الأحاديث بالإشارة كالرمز بالعين والحاجب واليد[1]

غمز: أصل الغمز الإشارة بالجفن أو اليد طلبا إلى ما فيه معاب ومنه قيل ما في فلان غميزة أي نقيصة يشار بها إليه وجمعها غمائز، قال: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المطففين: ٣٠]، وأصله من غمزت الكبش إذا لمسته هل به طرق؟ نحو عبطته[2].

ومما تقدم يظهر أن الضحك في الأساس بأنه انفراج الشفتين وظهور الأسنان، وهو غالبًا ما يكون تعبيرًا عن السرور أو التعجب.

ومن هذا المعنى اشتق اسم «الضواحك» للأسنان الأمامية. لكن الضحك لا يقتصر على السرور؛ فقد يُستخدم مجازًا للدلالة على السخرية والاستهزاء بالآخرين، كما في قولهم «ضحك منه»، أما الغمز، فهو إشارة جسدية خفية تُستخدم بالعين أو الحاجب أو الجفن، وأحيانًا باليد. يُشير الغمز غالبًا إلى التلميح بعيب أو نقص في شخص ما، أو للإشارة إلى أمر خفي. ولهذا السبب، تُستخدم عبارة «ما في فلان غميزة» للدلالة على خلو الشخص من العيوب. ويُؤكد القرآن الكريم على هذا المعنى في قوله تعالى: «وإذا مروا بهم يتغامزون»، وباختصار يُعبر الضحك عن حالة نفسية من السرور أو التعجب وقد يحمل معنى السخرية، فإن الغمز هو إشارة جسدية محددة تحمل دلالات التلميح أو الانتقاد الخفي.

## المبحث الثاني
## دلالة لفظ الضحك في القرآن

جاءت لفظة الضحك عشر مرات في القرآن الكريم بصيغ مختلفة بين الاسم والفعل، فأخذ المفسرون يفسرون دلالة هذه اللفظة وفقاً لحالتها وموقعها.

المطلب الأول: دلالة الفعل ضحك عند المفسرين

جاء الفعل ضحك ثماني مرات في القرآن، خمس مرات منها بصيغة المضارع (يضحكون) ومرتين بصيغة

ص٥٠١.

(١) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، دون ذكر الطبعة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣، ١١/ ٨٤.

(٢) ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٦١٢.

الماضي، ومرة بصيغة الأمر.

في صيغة المضارع:

- ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ (٢)
- ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٣)
- ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤)
- ﴿ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (٥)

ويلحظ أن جميع سياقات يضحكون تأتي في دلالة الاستهزاء، ففي سورة الزخرف « ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ يقول: فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله، فيما يدعوهم إليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة، إذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون؛ كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون، وهذا تسلية من الله عز وجل نبيه – صلى الله عليه وسلم – عما كان يلقى من مشركي قومه، وإعلام منه له، أن قومه من أهل الشرك لن يعدو أن يكونوا كسائر الأمم الذين كانوا على منهاجهم في الكفر بالله وتكذيب رسله، وندب منه نبيه – صلى الله عليه وسلم – إلى الاستنان في الصبر عليهم بسنن أولي العزم من الرسل، وإخبار منه له أن عقبى مردتهم إلى البوار والهلاك كسنته في المتمردين عليه قبلهم، وإظفاره بهم، وإعلائه أمره، كالذي فعل بموسى عليه السلام، وقومه الذين آمنوا به من إظهارهم على فرعون وملئه»(٦)

وهنا يلحظ دلالة لفظة يضحكون تترادف مع يسخرون، وكذلك في سورة النجم ﴿ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (٧)» والضحك: ضحك الاستهزاء.والبكاء مستعمل في لاَزمه من خشية الله كقوله تعالى:

(١) الزخرف: ٤٧.
(٢) المطففين: ٢٩.
(٣) المطففين: ٣٤.
(٤) النجم: ٦٠.
(٥) المؤمنون: ١١٠.
(٦) الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ/٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة ٣، دار الكتب العلمية لبنان، ١٩٩٩م، ٢١، ص ٦١٤.
(٧) الإسراء: ١٠٩.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[1].

ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين حيث حلوا بحجر ثمود في غزوة تبوك «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، أي ضارعين الله أن لا يصيبكم مثل ما أصابهم أو خاشين أن يصيبكم مثل ما أصابهم. والمعنى: ولا تخشون سوء عذاب الإشراك فتقلعوا عنه.[2]»

وفي صيغة الأمر، قال تعالى: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3]» وَهَذَا وَإِنْ وَرَدَ بِصِيغَةِ الْأَمْرِ إِلَّا أَنَّ مَعْنَاهُ الْإِخْبَارُ بِأَنَّهُ سَتَحْصُلُ هَذِهِ الْحَالَةُ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ: جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ وَمَعْنَى الْآيَةِ أَنَّهُمْ، وَإِنْ فَرِحُوا وَضَحِكُوا فِي كُلِّ عُمُرِهِمْ، فَهَذَا قَلِيلٌ لِأَنَّ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا قَلِيلَةٌ، وَأَمَّا حُزْنُهُمْ وَبُكَاؤُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَكَثِيرٌ، لِأَنَّهُ عِقَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَالْمُنْقَطِعُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدَّائِمِ قَلِيلٌ، فَلِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ: فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً قَالَ الزَّجَّاجُ: قَوْلُهُ: جَزاءً مَفْعُولٌ لَهُ، وَالْمَعْنَى وَلْيَبْكُوا لِهَذَا الْغَرَضِ»[4]

الكفار كانوا يضحكون ويستهزئون من المؤمنين في الدنيا، ولكن الله – سبحانه وتعالى – يجعل المؤمنين في الآخرة يضحكون من الكفار، كما ضحك الكفار من المؤمنين[5]، والمؤمنون يضحكون من الكفار وهم في حال التنعم على الأرائك ينظرون إلى ما حل بالكفار من الصَّغار والهوان[6]، وفي نهاية الأمر (هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون) ؛ أي: هل أُثيب الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من الاستهزاء أم لا ؟ وهذا الاستفهام يعني أنهم قد نالوا أوفر جزاء وأتمه وأكمله.[7]

إن المستهزئون يتحسرون في الآخرة على استهزائهم، وهذه الحسرة عذاب مؤلم ؛ يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفۡسٌ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ

(١) النجم: ٦٠.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٨/ ١٢٠.
(٣) التوبة: ٨٢.
(٤) الرازي،مختار الصحاح، ١٦/ ١١٤.
(٥) ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، ٢/ ٤٦٣.
(٦) (الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ٤/ ٧٢٥.
(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ، ٤/ ٦٢٨.

جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾[1] .

وهذا خطاب من الله –سبحانه وتعالى – لعباده بأن يلتزموا أمر الله ؛ فيحلوا الحلال ويحرموا الحرام ويجتنبوا المعاصي ويفعلوا الطاعات، من قبل أن يفاجئهم العذاب الأليم،وهم لاهون غافلون لا يشعرون، والعذاب – هنا – عذاب الدنيا كالقتل والأسر والقهر والجدب، وليس عذاب الآخرة، لأن عذاب الآخرة لا يأتي بغتة.[2]

وهذا الالتزام بأمر الله كراهة (أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله) ؛ يقول الزمخشري: « (أن تقول نفس) كراهة أن تقول. فإن قلت: لم نكرت ؟ قلت: لأن المراد بها بعض الأنفس، وهي: نفس الكافر، ويجوز أن يراد نفس متميزة من الأنفس ؛ إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعذاب عظيم، ويجوز أن يراد التكثير ».[3]

ومعنى: (جنب الله) ؛ أي: قربه ؛ لأن الجنب بمعنى الجوار والقرب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴿٣٦﴾﴾[4] ؛ فتتحسر النفس الكافرة على تفريطها في طلب قرب الله،– وهو الجنة –، وكذلك على سخريتها بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين. وقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾[5]جملة حالية ؛ أي: كأن النفس المتحسرة تقول: فرطت وأنا ساخرة.[6]

فهيا « قبل أن تتحسروا على فوات الفرصة، وعلى التفريط في حق الله، وعلى السخرية بوعد الله (...) فالفرصة ها هي ذي سانحة، ووسائل الهدى ما تزال حاضرة، وباب التوبة ها هو ذا مفتوح (...) فإذا انتهت الحياة فلا كرة ولا رجوع، وها أنتم أولاء في دار العمل، وهي فرصة واحدة إذا انقضت لا تعود، وستسألون عنها مع التبكيت والترذيل»[7]

فالنفس الهازئة تتحسر على استهزائها، والحسرة ألم، فكيف بحسرة هي الألم في موطن العذاب والألم في نار جهنم ؟ إنها حسرة تمزق أحشاء النفس المستهزئة. فالكفر أمر تُعذب عليه هذه النفس، ولذلك فإنها

(١) سورة الزمر: ٥٥-٦٠.
(٢) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ٦/ ٨٩-٩٠.
(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤/ ١٣٩.
(٤) النساء: ٣٦.
(٥) الزمر: ٥٦.
(٦) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن ، ٦/ ٨٩-٩٠).
(٧) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢٤/ ٣٠٥٩.

تتحسر على ما فرطت في جنب الله، وكذلك فإنها تتحسر على السخرية بدين الله، وذلك ؛ لأنها تعذّب عذاباً مستقلاً على سخريتها مع عذابها على كفرها ولذلك فقد تحسرت على استهزائها تحسراً مستقلاً عن كفرها ؛ فهما أمران: كفر مجرد، وزيادة عليه استهزاء. فالاستهزاء كفر وزيادة وعقابه عقاب الكفر وزيادة، وذلك بناءً على ما يُفهم من تحسر النفس على الأمرين: التفريط في جنب الله والاستهزاء في دين الله؛ ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

فالمستهزئون بدين الله – سبحانه وتعالى – منسيون في الآخرة، فهم في النار لا يَخرجون منها ولا يُخرجون ؛ يقول تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[2].

لقد ظهر للكفار في الآخرة جزاء سيئاتهم التي ارتكبوها في الدنيا، وأحاط بهم ما كانوا يستهزئون به من العذاب، ويقال لهم: اليوم نترككم في العذاب، كما تركتم العمل لهذا اليوم، ومسكنكم ومقركم الذي لا تخرجون منه هو النار، وهذا العذاب بسبب اتخاذكم القرآن هزواً ولعباً وخداع الدنيا لكم حتى ظننتم أنه لا بعث ولا نشور ولا حساب، فعملتم لها على حساب الآخرة،ولذلك ؛ فلن يخرج الكفار من النار، ولن يُستعتبوا ؛ أي: لن يطلب منهم الرجوع إلى طاعة الله، ولا يُسترضون، ولا يُقبل لهم عذر ولا توبة[3].

فالمستهزئون منسيون في العذاب، خالدون فيه لا يخرجون منه، ولا تقبل منهم توبة ولا عذر. إذن ؛ فالخلود في النار جزاء رباني للمستهزئين، فلينظر المستهزئون – قبل استهزائهم – إلى أن عاقبة المستهزئين هي الخلود في النار، لعلهم يرتدعون وإن لم يرتدعوا فالنار متسعة لأمثالهم، مجهزة لاستقبالهم.

وفي صيغة الماضي وردت هذه اللفظة مرتين قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ ﴾[4]

أي ضحكت « سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث. أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب. وقيل: كانت تقول لإبراهيم: اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم

(١) الزمر: ٥٦.
(٢) الجاثية: ٣٣ – ٣٥.
(٣) البغوي، معالم التنزيل، ٧/ ٢٤٨.
(٤) هود: ٧١ .

عذاب، فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت. وقيل ضحكت فحاضت» [1]

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾[2]؛ أي هو القادر على إيجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكاء ففيه دليل على أن جميع ما يعمله الإنسان فبقضاء الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكاء وقيل أضحك أهل الجنة في الجنة وأبكى أهل النار في النار قيل أضحك الأرض بالنبات وأبكى السماء بالمطر وقيل: أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء عن جابر بن سمرة قال «جلست مع النبي صلّى الله عليه وسلّم أكثر من مائة مرة وكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم إذا ضحكوا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح[3].

بعد مطالعة صيغ الفعل من ضحك، نلاحظ أن دلالة صيغة المضارع جاءت بمعنى الضحك المذموم، وفيه دلالات السخرية والاستهزاء، وكذلك في صيغة الأمر فالله تعالى يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحك المنافقين واستهزاءهم سينقلب بكاء آخر عمرهم. أما في صيغة الماضي فالضحك بمعنى مختلف تماماً وهو الضحك المحمود بمعنى الفرح والاستبشار بالخير.

المطلب الثاني: دلالة الاسم ضحك عند المفسرين

قال تعالى: ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾[4].

« وتبسم سليمان عليه السلام، إما للعجب بما دل عليه قولها: { وهم لا يشعرون }، وهو إدراكها رحمته وشفقته ورحمة عسكره، وإما للسرور بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً، وهو إدراكه قول ما همس به، الذي هو مثل في الصغر، ولذلك دعا أن يوزعه الله شكر ما أنعم به عليه. وانتصب ضاحكاً على الحال، أي شارعاً في الضحك ومتجاوزاً حد التبسم إلى الضحك، ولما كان التبسم يكون للاستهزاء وللغضب، كما يقولون، تبسم تبسم الغضبان، وتبسم تبسم المستهزىء، وكان الضحك إنما يكون للسرور والفرح، أتى بقوله: { ضاحكاً }. [5]»

قال تعالى: ﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴿٣٩﴾ ﴾[6] (ضَاحِكَةٌ) يقول: ضاحكة من السرور بما أعطاها الله من النعيم

(١) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ٤١٠.
(٢) النجم: ٤٣.
(٣) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل ، ٤/ ٢١٤.
(٤) النمل: ١٩.
(٥) أبي حيان، البحر المحيط،، ٨/ ٢٢٢.
(٦) عبس: ٣٩

والكرامة (مُسْتَبْشِرَةٌ) لما ترجو من الزيادة. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: (مُسْفِرَةٌ) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (مُسْفِرَةٌ) يقول: مشرقة. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ) قال: هؤلاء أهل الجنة[1].

فالاسم ضاحك دلالته مختلفة عن دلالة الفعل، لأن الاسم يدل على الفرح والسرور، في حين أن صيغ الفعل أغلبها حملت دلالة السخرية.

## المبحث الثالث
## الغمز في القرآن الكريم

وردت لفظة الغمز مرة واحدة في القرآن بصيغة المضارع

- المطلب الأول: دلالة الغمز
- في سورة المطففين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[2].

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أجرموا إذا مر الذين آمنوا بهم يتغامزون ; يقول: كان بعضهم يغمز بعضا بالمؤمن، استهزاء به وسخرية «[3]

« والتغامز: تفاعل من الغمز، ويطلق على جس الشيء باليد جسا مكينا، ومنه غمز القناة لتقويمها وإزالة كعوبها. وفي حديث عائشة: « لقد رأيتني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة، فإذا أراد أن يسجد غمز رجلي فقبضتها «. ويطلق الغمز على تحريك الطرف لقصد تنبيه الناظر لما عسى أن يفوته النظر إليه من أحوال في المقام، وكلا الإطلاقين يصح حمل المعنى في الآية عليه. وضمير مروا يجوز أن يعود إلى الذين أجرموا فيكون ضمير بهم عائدا إلى الذين آمنوا، ويجوز العكس وأما ضمير يتغامزون فمتمحض للعود إلى الذين أجرموا.والمعنى: وإذا مر المؤمنون بالذين أجرموا وهم في مجالسهم يتغامز المجرمون حين مرور المؤمنين، أو وإذا مر الذين أجرموا بالذين آمنوا وهم في عملهم وفي عسر حالهم يتغامز المجرمون حين مرورهم، وإنما يتغامزون من دون إعلان السخرية بهم اتقاء لتطاول المؤمنين عليهم بالسب ; لأن المؤمنين قد كانوا كثيرا بمكة حين نزول [ ص: ٢١٢ ] هذه السورة، فكان هذا دأب

(١) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٤/ ٣٠٣

(٢) المطففين: ٣٠

(٣) الطبري، ٢٤/ ٣٠٣.

المشركين في معاملتهم وهو الذي يقرعون به يوم القيامة.[١]».

المطلب الثاني: علاقة لفظ الغمز مع لفظتي الهمز واللمز

تأتي مفردة همز التي تعبّر عن التهمكم والسخرية، فهي تعني العيب بالغيب ؛ وقال الزجاج الهمزة واللمزة الذي يغتاب الناس[٢].

أما الفروق اللغوية بين السخرية و الهمزة ؛ فالسخرية إحتقار الشخص مطلقاً على وجه مضحك أثناء وجوده ؛ بينما الهمزة هو السخرية من الناس بالإشارة. كتحريك اليد قرب الرأس إشارة إلى الوصف راجعون أو الومض بالعين رمزاً للإستخفاف، و ما إلى ذلك من الحركات[٣].

ومن المفردات الأخرى التي تقترب من الغمز هي اللمز، و هو كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي. و اللمزة أو اللمز الدفع. و قال الفراء العيب[٤].

إذاً، المعنى في اللغة بين الهمز واللمز واحد، ولكن أبو هلال يرى أن الهمزة الذي يهمز أخاه في قفاه من خلفه. واللمزة في الإستقبال أو الهمزة الطعان في الناس بذكر عيوبهم و اللمزة الطعان في أنسابهم أو الهمزة بالعين. واللمزة باللسان أو عكسه[٥].

إن اللمز هو السخرية من الناس بالقول، كإطلاق أسماء على شخص أو ما إلى ذلك، في حين أن الهمز أن يهمز الإنسان بقول قبيح دون أن يسمعه الآخر، و اللمز أجهر من الهمز، والمعروف عند الناس أن اللمز العيب سراً، بينما الهمزة العيب بكسر العين[٦].

ويرى العلاّمة الطباطبائي أن اللمزة الذي يعيبك في وجهك ؛ عن الليث؛ وقيل: الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه، واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه، ويشير برأسه ويؤمي بعينه. و فعلة بناء المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصير عادة له تقول: رجل ضحكة كثير الضحك وكذا همزة ولمزة. فالمعنى ويل لكل عيّاب مغتاب[٧].

فهما ليس على مستوى واحد من المعاني و إن تقاربا، فهناك فروق أكدها مختصو اللغة.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ، ٣١/ ٢٠٩.
(٢) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس/ ٣٢٢.
(٣) العسكري، الفروق اللغوية، ٥٥.
(٤) ابن منظور، لسان العرب،ص ٤٠٦.
(٥) العسكري، الفروق اللغوية، ٥٣.
(٦) المصدر نفسه.
(٧) الطباطبائي، الميزان، .

فالغمز واللمز والهمز جميعها تتقارب في المعنى بشكل واضح، فهي تدل على حركات الوجه قصد السخرية والاستهزاء بحسب مواضعها في القرآن.

المطلب الثالث: الاتفاق والاختلاف في دلالة الضحك والغمز

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾ [1]

هاتان الآيتان تعرضان صورتين من صور:

الصورة الأولى: استهزاء الكفار بالمؤمنين

فأما الصورة الأولى فهي: الضحك من المؤمنين.

ولابد من الوقوف على الصورتين، وتسليط الضوء على اللفظين القرآنيين (الضحك والغمز) فالذين أجرموا يستهزئون من الذين آمنوا، بل وصل الاستهزاء بهم إلى حد عظيم ؛ حيث ظهر هذا الاستهزاء بصورة الضحك ؛ لأن الاستهزاء – عند الكفار – قد تجاوز الشعور القلبي إلى ضحك يصدر نتيجة الاستهزاء المكنون في صدورهم[٢].

فمجرد الضحك لا يدل على الاستهزاء دون قرينة ؛ لأن أسباب الضحك قد تتعدد، فقد يكون الضحك بسبب فكاهة أدبية، أو بسبب موقف احتوى على مفارقة تبعث على الضحك، وقد يكون بسبب استهزاء -كما هو الحال في هذه الآية- بلغ الزبى وتجاوز الحد إلى درجة لم يستطيع القلب أن يحتويه، فخرج الاستهزاء على شكل ضحك يُسمع صوته، ويُرى صاحبه فاكهاً.ففي هذه الآية – استعير الضحك للسخرية -إذن ؛ فالضحك لفظ قريب في معناه لمعنى الاستهزاء، وهذا هو المهم في هذا المقام[٣].

وأما قوله تعالى:﴿ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ ﴾ فإن الكفار كانوا إذا مر بهم المؤمنون -وهم في مجالسهم- يستهزئون بالمؤمنين عن طريق الغمز. والغمز هو: الإشارة بالجفون و الحواجب[٤].

وللغمز استعمالات متعددة فقد يستخدمه الإنسان كنوع من أنواع التحية، أوقد يستخدم للتنبيه على أمر ما، وقد يستخدم -كما هو الحال في هذه الآية- للاستهزاء. ومن هنا، فإن الغمز قريب في معناه من الاستهزاء، وإنه يدل على الاستهزاء بقرينة؛ وذلك لتعدد استخدامه. وهذا هو المطلوب بيانه[٥].

(١) المطففين: ٢٩ – ٣٠.
(٢) حفني، أسلوب السخرية في القرآن الكريم ، ص ١١.
(٣) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ، ٥٠١
(٤) الزاوي ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة:٣/٤١٧.
(٥) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن،ص٣٩٤.

## الخاتمة:

حاولت الدراسة الحالية البحث في ألفاظ الضحك والغمز في القرآن الكريم، وإيجاد دلالتهما في كتب المفسرين، وقد خاضت الدراسة في جميع المواقع التي وردت فيها هاتين اللفظتين، توصلت إلى النتائج الآتية:

١. وردت لفظة الضحك عشرة مرات في القرآن الكريم ثماني مرات بصيغة الفعل، ومرتين بصيغة الاسم.

٢. أن دلالة صيغة المضارع جاءت بمعنى الضحك المذموم، وفيه دلالات السخرية والاستهزاء، وكذلك في صيغة الأمر فالله تعالى يخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحك المنافقين واستهزاءهم سينقلب بكاء آخر عمرهم.

٣. ضحك في صيغة الماضي فالضحك بمعنى مختلف تماماً وهو الضحك المحمود بمعنى الفرح والاستبشار بالخير.

٤. فالاسم ضاحك دلالته مختلفة عن دلالة الفعل، لأن الاسم يدل على الفرح والسرور، في حين أن صيغ الفعل أغلبها حملت دلالة السخرية

٥. وردت لفظة الغمز مرة في القرآن الكريم وجاءت تحمل دلالة السخرية والاستهزاء.

٦. ترتبط لفظة الغمز مع لفظتي الهمز واللمز، وفي القرآن تدل على السخرية والاستهزاء.

## المصادر والمراجع:

القران الكريم

١. البغوي، حسين بن مسعود (ت٥١٦هـ / ١١٢٢م)، معالم التنزيل، حققه محمد النمر وآخران، الطبعة ٢، دار طيبة، السعودية، ١٩٩٣م

٢. الجرجاني، علي بن محمد، ت ٨١٦ه، التعريفات ط ١، ١م، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣

٣. ابن جزي (ت ٧٤١ هـ،١٣٤١م)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، دون ذكر الطبعة، دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، دون تاريخ

٤. أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط،تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٣.

٥. حفني، عبدالحليم، اسلوب السخرية في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م،

٦. الخازن، علي بن محمد (ت٧٢٥ هـ /١٣٢٥م)، لباب التأويل في معاني التنزيل، اعتنى به عبد السلام

شاهين، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٥ م

٧. الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، تح، سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت لبنان، دط، ١٤١٢.

٨. الزاوي ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة الطبعة ٣، دار الفكر، دون ذكر مكان الطبعة، دون ذكر تاريخ النشر

٩. الزبيدي، حمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد الستار أحمد فرّاج، ط ١، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤.

١٠. الزمخشري الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط ١، ٦، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي معوض مكتبة العبيكان، ١٤١٤هـ.

١١. سيد قطب (ت١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)، في ظلال القرآن، الطبعة ٢٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٦م

١٢. الطباطبائي، حسين: الميزان، دار الكتب الإسلامية، إيران، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١٩٩٧،١.

١٣. الطبري، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠ هـ /٩٢٣م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبعة ٣، دار الكتب العلمية لبنان، ١٩٩٩م

١٤. ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤.

١٥. ابن كثير (ت٧٧٤ هـ /١٣٧٣م)، تفسير القرآن العظيم، الطبعة ٢، دار الفيحاء و دار السلام، دمشق / الرياض، ١٩٩٨ م.

١٦. القنوجي ت ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م، فتح البيان في مقاصد القرآن، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، الجزء ٧، الطبعة ١، دار الكتب العلمية، لبنان ١٩٩٩م،

١٧. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، دون ذكر الطبعة، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٣.

١٨. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تح محمد باسل عيون السود، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، ب يرون، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٢.

**Sources and References:**

The Holy Quran

1 .Al-Baghawi, Husayn ibn Mas'ud (d. 516 AH / 1122 AD), Ma'alim at-Tanzil, edited by Muhammad al-Nimr and others, 2nd edition, Dar Taiba, Saudi Arabia, 1993

2 .Al-Jurjani, Ali ibn Muhammad, d. 816 AH, al-Ta'rifat, 1st ed., 1st edition, edited by Ibrahim al-Abyari, Dar al-Kitab al-Arabi, Beirut, 1983

3 .Ibn Juzayy (d. 741 AH / 1341 AD), al-Tashil li-Ulum al-Tanzil, edited by Abdullah al-Khalidi, no edition mentioned, Dar al-Arqam ibn Abi al-Arqam, Lebanon, no date

4 .Abu Hayyan al-Andalusi: al-Bahr al-Muhit, edited by Adel Ahmad, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1993

5 .Hafni, Abdel Halim, The Style of Sarcasm in the Holy Qur'an, Egyptian General Book Authority, 1997.

6 .Al-Khazin, Ali ibn Muhammad (d. 725 AH/1325 AD), The Core of Interpretation in the Meanings of Revelation, edited by Abdul Salam Shahin, 1st edition, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Lebanon, 1995.

7 .Al-Raghib Al-Isfahani: Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran, ed. Sayyid Kilani, Dar Al-Ma'rifah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1412.

8 .Al-Zawi, Arrangement of Al-Qamus Al-Muhit in the Method of Al-Misbah Al-Munir and Asas Al-Balagha, 3rd edition, Dar Al-Fikr, without mentioning the place of publication or the date of publication.

9 .1 .Al-Zubaidi, Hamad Murtada, Taj Al-Arous min Jawahir Al-Qamus, ed. Abdul Sattar Ahmad Farraj, 1st ed., Kuwait, Kuwait Government Press, 1965.

10 .Al-Zamakhshari, Al-Kashaf 'an Haqa'iq al-Tanzil wa-Uyun al-Aqawil fi Wujub al-Ta'wil, 1st ed., 6th ed., edited by Adel Ahmed Abdel Mawgoud and Sheikh Ali Mu'awwad, Al-Ubaikan Library, 1414 AH.

11 .Sayyid Qutb (d. 1386 AH / 1966 AD), In the Shade of the Qur'an, 25th ed., Dar Al-Shorouk, Cairo, 1966 AD.

12 .Al-Tabataba'i, Hussein: Al-Mizan, Dar Al-Kutub Al-Islamiyyah, Iran, Al-A'lami Foundation, Beirut, 1st ed., 1997.

13 .Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir al-Tabari (d. 310 AH / 923 CE), Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayat al-Qur'an, 3rd edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Lebanon, 1999 CE.

14 .Ibn Ashur: At-Tahrir wa al-Tanwir, Al-Dar al-Tunisiyyah, Tunis, 1984 CE.

15 .Ibn Kathir (d. 774 AH / 1373 CE), Tafsir al-Qur'an al-'Azim, 2nd edition, Dar al-Fayhaa and Dar al-Salam, Damascus/Riyadh, 1998 CE.

16 .Al-Qanuji (d. 1307 AH / 1889 CE), Fath al-Bayan fi Maqasid al-Qur'an, annotated by Ibrahim Shams al-Din, Part 7, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Lebanon, 1999 CE.

17 .Ibn Manzur, Muhammad ibn Makram (d. 711 AH / 1311 CE), Lisan al-Arab, no edition mentioned, Dar Sadir, Beirut, 2003.

18 .Abu Hilal Al-Askari, Linguistic Differences, trans. Muhammad Basil Ayoun Al-Sud, Ali Baydoun Publications, Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 2nd ed., 2002.